الصعوبات المفتعلة على درب التعريب

للأستاذ الدكتور جميل الملائكة ـ
أستاذ الهندسة المدنية بجامعة بغداد
(عضو المجمع العلمي العراقي)

نفرض ابتداء أن حتمية التعريب أمر مفروغ منه، وأن في العودة إلى الكلام عليه تكرارا مملاً نحن في غنى عنه. ومن ثمّ فمن أولى المشكلات أنه ما زال بين المثقفين أناس يتخوفون من التعريب، أو هم لا يؤمنون بقضيته، فيختلقون في سبيله العقبات ويفتعلون أمامه الصعوبات.

هل ننتظر إكمال المصطلحات قبل البدء بالتعريب ؟

فمن ذلك ما يجري الكلام عليه بين حين وآخر من عدم توفر المصطلحات العلمية الكافية لسدّ حاجة التعريب، والقول بأن سعة المواد العلمية، وسرعة نموها في هذا العصر، مما يستلزم أضعاف ما أعدّته وتُعدّه المجامع والهيئات المختصة من هذه الالفاظ العلمية. إن هذه النظرة إلى الموضوع هي خاطئة في الأساس. فليس المفروض أن يجد أهل العلم عند المجامع والهيئات المعنيّة بالتعريب مصطلحا جاهزا لكل فكرة علمية دقيقة أو كشف علمي جديد. وإنما يضَع العلماء، هم أنفُسهم، اللفظ العلمي، وهم يستعينون بأهل اللغة في ذلك كلما دعت الحاجة إليه. ولو لم يكن الأمر كذلك لتأخرت مسيرة العلم في العالم المتقدم كثيرا. ومثل هذا فعل أسلافنا عندما نقلوا إلى العربية علوم اليونان والهند إبّان ازدهار الحركة العلمية والحضارة في العالم العربي القديم. فهم لم ينتظروا حتى تزوِّدَهم هيئات علمية ولغوية بالألفاظ التي استعملوها في لغة العلم. ومثال ذلك أنهم وضعوا لفظ (الجبر) لهذا العلم الذي ابتكروه، واختاروا لفظ المنطق ليقابل اللفظ اليوناني Logikos، وآلافا من الألفاظ العلمية من هذا القبيل. وفي هذا العصر الذي سِمَتُه السرعة، لا يمكن أيضا لأصحاب الأبحاث العلمية المتزايدة، والفكرات المتطورة، والكشوف المتجددة يوما بعد يوم في العالم المتقدم، أن ينتظروا كل مرة ريثما تجتمع المجامع والهيئات لتضع لهم لفظا علميا أو تُقرّه للاستعمال.

لا يصبح اللفظ مصطلحا إلّا بعد تداوله :

إن وقفة بسيطة على المراد بكلمة (مصطلح) يمكن أن تدلّ على الكثير في هذا الشأن. فاللفظ الذي يضعه فرد أو هيئة لدلالة علمية أو حضارية معينة لا يمكن أن يُصبح (مصطلحا) إلّا بعد أن (يَصطلحَ) ويتواضعَ عليه المشتغلون بذلك العلم أو المعنيون بذلك الجانب من الحضارة. أما قبل ذلك فهو لا يعدو كونَه لفظا مقترحا دعت إليه الحاجة الآنية للتعبير عن فكرة علمية أو حضارية. ومن ثم فلن يمكننا الحصول على أي مصطلح، بالمعنى الحقيقي، إلّا بعد وضع اللفظ المقترح في حيّز (الاستعمال). أي أن (التعريب) هو الذي يصنع لنا المصطلحات، وليس العكسُ، ولا بدّ لنا من أن نَدخل في مجال تعريب العلم لنحصلَ على مصطلحاته. إنّ حُجّة القائلين بالتريث في التعريب ريثما تكتمل المصطلحات متهافتة أساساً فهي تنقض نفسها بنفسها

التعريب هو الذي يُفضي بالمصطلحات إلى التوحيد :

ويُفضي بنا هذا الحديث إلى أولاء الذين يقولون بالتريث في التعريب ريثما يتمّ (توحيد) المصطلحات. ولكنْ أيُّ مصطلحات توحَّد إذا لم تدخل الألفاظ المقترحة مجال الاستعمال ؟ وأنّى يجري التوحيد إذا لم يتنادَ العلماء لتبادل الرأي في الألفاظ العلمية العربية التي استعملوها في تدريساتهم وفيما ينشرونه في بحوثهم وكتبهم المؤلفة باللغة العربية أو المترجمة إليها ؟ إن استعمال هذه الألفاظ والمصطلحات هو الذي يميّز بعضها على بعض، وإن تداولها هو الذي يؤدي في الآخر إلى اختيار الأصلح منها وإقراره. وعلى هذه الشاكلة مثلا يكاد مصطلح Relative Density في الانكليزية أن يُزيح مصطلحي Specific Gravity و Specific Density للكثافة النسبية في الفيزياء، لكون الأول أوضح وأجدر، بالبقاء. وهكذا تغلب مصطلح Roughness على Rugosity للدلالة على خشونة سطوح القنوات في علم الري وجريان الموائع، وزال مصطلح Fluxion لمعنى (المشتقة) في الرياضيات وبقي مصطلح Derivative.

وعلى هذه الشاكلة أيضا بقي عندنا مصطلح (مربّع) في الرياضيات، أي حاصل تربيع العدد، وزال مصطلح (مال) الذي استُعمل قديما للمعنى نفسه، وبقي (المفعول لأجله) أو (المفعول له) في النحو وزال لفظ (العُذر)، وبقي علم (الفلك) وأزال كلا من مصطلحي (الهيئة) و(الأسطرونوميا) وكان هذا الأخير قد استُعمل في بادىء الأمر، وبقي مصطلح (المياه الجوفية) وزال مصطلح (المياه الخفيّة)، وبقي علم (المثلثات) وكان في زمن ما يسمى أيضا علم (الأنساب) لعلاقته بالنسب المثلثية، ومثل هذا كثير.

ليس عدم التوحيد عقبة في درب التعريب :

إنهم على أية حال يبالغون في أهمية هذا التوحيد والادعاء بأنه العقبة الكأداء في درب التعريب. فقد يبقى في الاستعمال مصطلحان لمعنى علمي بعَينه زمنا طويلا دون أن يُزيح أحدهما الآخر، بل قد يبقى عديد من المصطلحات للمعنى الواحد ولا يكون كبير ضَير في ذلك. وهكذا نجد بعضهم يعبّر في علم الاحصاء عن مجموعة الأشياء التي تؤخذ منها عيّنة للاستدلال منها على نَمَط التغير في المجموعة بلفظ Universe، ويعبّر عنه بعضٌ بلفظ Population، وبعضٌ بمصطلح Bulk، ويستعمل آخرون التعبير Parent distribution [1]. وفي هندسة التعدين

(1) انظر : Grant, E.L.-Statistical Quality Control, Mc Graw-Hill, p.72, New York, 1946.

تعددت المصطلحات الدالة على الدلو الكبير المتخذ لرفع العمال والماء والحجارة والأدوات من المنجم فهو Hibble وهو Bowk وهو Hoppit وهو Skip وهو Sinking bucket [2]. وفي هندسة البناء قالوا للخَرَزة التي تلبَّس حول الحافة الداخلية للشباك المنزلق، لمنع جزئه الداخلي من التأرجح إلى داخل الغرفة Guard bead و Guide bead و Inner bead و Window bead و Baton و Inside stop و Stop bead. وتعددت المصطلحات المستعملة للخشبة المائلة لاسناد ما بين عارضتي السلالم العريضة فهي مرة Carriage ومرة Rough string وتارة Bearer وأخرى Stair horse [3]. وفي الهندسة المدنية استعملوا للأرض التي تمدّ نهرا في نقطة معينة وتقع بين جرفين مرتفعين في أعلى تلك النقطة تارة Catchment وأخرى Gathering ground ومرة Watershed ومرة Catch basin وأخرى Drainage area، هذا إذا لم نذكر Catchment area و Drainage basin [4].

وثمة الكثير من أمثلة تعدد المصطلحات عندهم للمدلول الواحد على هذه الشاكلة، وهو حاصل في مختلف فروع المعرفة، وأكثرُ منه ما يقتصر فيه عدد المصطلحات للمدلول الواحد على اثنين أو ثلاثة، وهو أمر طبيعي في كل لغة مُفعمة بالحياة ينتشر استعمالها في رقعة كبيرة من الأرض. ولكنّ كل ذلك لم يؤخر مسيرة العلم عندهم قطّ. فليس عدم وَحدة المصطلح بذاته هو العائق الحقيقي لتقدم العلم، وإن يكن الأفضلُ أن نحاول تجنبه لتقليل اللَّبس، وإنما العائق الحقيقي من ذلك هو ما يفتعله الذين لا يؤمنون بالقضية.

الدوريات العلمية تواكب ترسيخ اللغة العلمية ولا تسبقه :

ومثلُ ذلك حُجّة القائلين بالانتظار حتى تظهر المجلات والدوريات التي تنشر البحوث باللغة العربية، فكأنهم بذلك يريدون بدء الموضوع من نهايته. ولكن بأيّ لغة علمية تُكتَب هذه البحوث إذا لم ترسخ اللغة العلمية أوّلًا بممارستها بالتدريس وتهذيب مصطلحاتها بالخطاب في معاهد العلم ومنتدياته ومؤتمراته ليتمكن منها المتعلم والمعلم والباحث والعالم ؟ ولمن تُكتَب هذه المجلات إذا كان القارىء لم يمارس اللغة العربيةَ العلميةَ وكانت متابعاته العلمية اليومية ودراساته كلها بلغة أجنبية ؟

العربية أوفر عطاء من كثير من اللغات العلمية :

وأبطلُ من ذلك ادعاء بعضهم ضعف اللغة العربية وعجزها عن وعاية علوم العصر والنهوض بمتطلباتها، وتلك أظلم تُهمَة اقترفها الأجنبي بحق لغتنا في زمن الاستعمار والتبعية، وبقيت مخلفاتها تضلل عقول بعض الجهّال حتى يومنا هذا. فليست العربية بأقلّ عطاء من عشرات اللغات التي اعتزّ بها أهلها، ولم تسمح لهم مشاعرهم القومية بالتخلي عنها، فاستعملوها للعلوم؛ فاستوعبتها جيدا ولم تقصُرْ عنها في شيء. بل أن العربية أغنى في خصائص الاشتقاق والمجاز والقياس من كثير من اللغات التي باتت تُدعى اليوم باللغات الحيّة زيادة في الثلب والنكاية في لغتنا.

وقد يتأثر بعض أولاء بلغة أجنبية درسوا علومهم بها واستدعت دراستهم تعلّم جانب من

---

(2) Scott, John S.- A Dictionary of Civil Engineering, Third Edition, Penguin Reference Books, London, 1980.

(3) Scott, John S.-A Dictionary of Building, Penguin Reference Books, London, 1975.

(4) Nomenclature for Hydraulics, American Society of Civil Engineers, New York, 1962. وانظر ايضا المرجع (٢)

قواعدها وأصولها فيدينون لتلك اللغة بولاء عجيب يتجاوز حدّ المعقول ويُزهّدُهم بالعربية ويصرفُهم عن الايمان بمقدرتها على استيعاب العلوم وبجدوى التعريب. ولعلّ كثيرا من هؤلاء لم تسنح لهم الفُرصة للاطلاع على دقائق اللغة العربية ولطف خصائصها في التعبير وسعة عطائها في الوضع والاشتقاق والمجاز، ولو تسنى لهم اكتناهُ بعض ذلك لما وقفوا منها هذا الموقف المتهاون الظالم.

اللغات تختلف في خصائصها وطرائقها :

فاللغات الأوربية التي هي من أصول لاتينية أو يونانية مثلا هي بطبيعتها (إلصاقية). أي أن كثيراً من ألفاظها يتألف من (جذر) ثابت لا يتغير في الأغلب، وهذا يمكن أن يغيّر معناه بإلصاق (سابقة) أو (صدر) في أوّله، أو بإلصاق (لاحقة) أو (كاسعة) في آخره، أو بكلتا الأثنتين.

العربية إشتقاقية وإلصاقية :

أما العربية فتمتاز على تلك اللغات بكونها (اشتقاقية) فضلا عن كونها (إلصاقية). أي أن أصل ألفاظها الثلاثية الحروف في الأغلب، يمكن أن يدخله (حشو) بين حروفه، أو (سابقة)، أو (لاحقة)، أو أكثر من واحدة من هؤلاء، فضلا عن أن حركات بعض حروفه الأصلية والزائدة قد يدخلها التغيير فيتغير المعنى.

ويمكن بقليل من التأمل، إدراك مدى الزيادة الكبيرة في احتمالات الاشتقاق والتوليد في اللغة العربية على سواها من اللغات اللاتينية واليونانية الأصول.

ومثال ذلك أن الفعل اللاتيني الأصل Rage بمعنى (غضِبَ) يمكن أن يُصدَّر بسابقة ليُصبح Enrage أو Outrage، أو يُكسع بلاحقة مثل Raged أو Raging أو Ragingly، أو تُلصق به سابقة ولاحقة مثل Enraged و Enraging و Outraged و Outraging و Outrageous و Outrageously و Outrageousness.

أما مقابله العربي فهو يأتي (مجردا من الزيادة) بصيغة الفعل (غَضِبَ) والمبني للمجهول (غُضِبَ) عليه، والمصدر وهو (غضَبٌ) والمبالغة (غَضِبٌ) للشديد الغضب. ويدخله (الحشو) فهو (غاضِبٌ) للفاعل، وهو (غضوب) للمبالغة بمعنى الكثير الغضب، والداء منه (غُضاب) للجُدَري أو قذى العين، ويقال (غَاضَبَ) فُلانٌ فلانا. وهو يُصدَّرُ (بسابقة) فيقال (أغضب) فلان فلانا. وهو يصدَّر (بسابقة) فيقال (أغضب) فلان فلاناً، و(مُغضِب) للفاعل، و(مُغضَب) للمفعول، ويقال (استغضب) عليه بمعنى غضِب. وهو يكسع (بلاحقة) فيقال في الوصف (غضبان) و(غضبانة) و(غضبى)، والمرة (غَضْبةٌ). وقد تدخله اثنتان أو أكثر من هذه الزيادات أو تغيير الحركات، ومنه في المصدر (مَغضبةٌ)، ومنه (تغاضب) القوم، واسم الفاعل (متغاضِب)، والمصدر (تغاضُبٌ)، ومنه (المغاضبة) مصدر غاضَبَ، وللفاعل (مغاضِب)، وللمفعول (مغاضَب)، ويقال (تغضّب) إذا اشتدّ غضبه، و(الغُضابيّ) الكدِر في معاشرته. وكثير مما جاء في اسماء هذا الباب يمكن جمعه إما سالما أو مكسّرا، أو تمكن النسبة إليه، أو عملُ المصدر الصناعيّ منه، وغير ذلك من الاشتقاقات الكثيرة مما لم نذكره.

المجاز :

أما مجال توسيع معنى اللفظ العربي بالخروج من حقيقته إلى المجاز فكان ومازال من أوسع الأبواب في اغناء اللغة العربية. وقد يكفي للتمثيل في هذا الباب إيراد هذا الفعل (ضَرَبَ) الذي أصل معناه (الصدم أو الاصابة بعصا أو غيرها). فقد خرج منه

على المجاز بضعُ عشرات المعاني والدلالات، ومنها :

(ضرب الشيءُ) إذا تحرك، و(ضرب الليلُ) إذا طال، و(ضرب القلبُ) نبض، و(ضرب العِرق) اختلج، و(ضَرَبَتِ السِّنُّ) اشتدّ وجعها، و(ضرب الزمان) مضى، و(ضربت العقرب) لدغت؛ و(ضربته العقرب) لدغته، و(ضرب على يده) حجر عليه، و(ضرب الخيمة) نصبها، و(ضرب النقودَ) سكّها وسبكها، و(ضرب على الرسالة) ختمها، و(ضربت العنكبوت بنسجها) خيّمت، و(ضرب له موعدا) عيّنه، و(ضرب عنه صفحا) أعرض عنه، و(ضرب في مجاهل الأرض) ذهب فيها وأبعد، و(ضرب العودَ) عزَف به، و(ضرب إلى الحُمرة) مال، و(ضرب له مثلا) ذكره له، و(ضرب له في ماله نصيبا) جعله له، و(ضرب بنفسه الأرض) أقام فيها، و(ضرب في الماء) سبح، و(ضرب فلانا عن فلان) كفّه عنه، و(ضرب بينهم) أفسد، و(ضرب في الأمر بسهم) شارك فيه، و(ضرب عليه النعاسُ) غلبه، و(ضرب الدهرُ بين القوم) فرّق بينهم، و(ضرب به عُرض الحائط) أهمله واحتقره، و(ضرب الخاتم) صاغه، و(ضرب عليهم الجزية) فرضها، و(ضرب الليل بظلامه) أقبل، و(ضرب عليه الحصار) حاطه وضيق عليه، و(ضرب الشيء بالشيء) خلطه، و(ضرب عليه الذِّلّة) أذلّه، و(ضرب عن فلان الشيءَ) أمسكه عنه، و(ضرب في البوق) نفخ، و(ضرب بذَقنه الأرض) جبُن وخاف، و(ضرب بالقِداح) أجالها، و(ضرب الصلاةَ) أقامها، و(ضرب العدد في العدد) كرّره بقدره، و(ضرب أخماساً لأسداس) سعى في المكر والخديعة. فأيُّ لغةٍ تتّسع ألفاظها لمثل هذا القَدْرِ من توليد المعاني بالمجاز.

لا نُخضع العربية لقواعد لغة أجنبية :

ومن مظاهر تقديس اللغة الأجنبية عند بعضهم أن يريدوا إخضاع اللغة العربية لقواعد هذه اللغة أو تلك، وتطويعَها لأساليبها في الاشتقاق والتعبير، مع أن لكل لغة طبيعتَها وطرائقَها التي تتميز بها عن سواها، ولا سيما اللغات المتباعدة الأصول.

ومن ذلك ما يحاولون تكلفه من التزام ترجمة كل لفظة أجنبية مصدرة بسابقة أو مكسوعة بلاحقة، أو كلتيهما، بلفظة عربية واحدة، وكأن ترجمةَ اللفظ الأجنبي في بعض الأحيان بلفظين عربيين عقبة كؤود في طريق التعريب. هذا فضلا عن أن بعضهم يرى ضرورة التزام صورة ثابتة لترجمة السابقة أو اللاحقة. وكل هذا من العبث الذي لا طائل فيه. فالترجمة تتحكم فيها عوامل كثيرة من بينها طبيعة اللغة، والذوق، والسَّماعُ وتجنب اللَّبْس، الخ، والمهم تكافؤ المعنى بين الأصل والنصّ المترجم مثلما لا تستوجب صحة المعادلة الرياضية وتساوي عدد الحدود في طرفيها.

ولو نظرنا إلى القضية من وُجهة معاكسة وتدارسنا ما يمكن أن يترجَم به إلى الانكنيزية معنى (الطلب) في (الألف والسين والتاء) من صيغة (استفعل)، وهو بعض معاني هذه السابقة، أو معنى (التشريك) في صيغة (تفاعَل)، أو (التكثير والتشديد) في صيغة (فعَّل) المضعّفة العين، أو (التعدية) في صيغة (أفعَل)، أو معنى (البناء للمجهول) في صيغة (فُعِل)، أو معاني الكثير مما عدا ذلك من الأوزان وحروف الزيادة، لما وجدناهم يترجمون أيًّا منها بلفظة واحدة، بل إننا لا نجد عندهم، في الأغلب الأعم، سابقة أو لاحقة لكل من هذه المعاني. وعلى هذا قد يترجمون لفظ (استنجد) بعبارة He asked for help مثلا، أي (طلب النجدة)، ولا يجدون ضيرا في ذلك، ويترجمون (تضاربوا) بعبارة They hit each other أي (ضرب بعضهم بعضا)، و(قتّلهم) He perpetrated slaughter upon them أي (أوقع بهم مجزرة)، و(أنامه) He put him to sleep أي

(جعله ينام)، و(سُرِق) He was robbed. والأوربيون لم يخطر ببالهم، حتى في زمن ترجمة الكتب العربية إلى لغاتهم، أن يخترعوا سوابق أو لواحق لمقابلة أمثال هذه الاشتقاقات أو الصيغ، وهي كثيرة. وهم لن يُجهِدوا قرائحهم في ذلك لأن فيه تكلفا لا مسوِّغ له. فضلا عن أن لكل من تلك الزوائد والصيغ معاني أخرى غيرَ التي ذكرنا. فصيغة (استفعل) مثلا قد تأتي لغير الطلب كما في (استحسن) و(استقام)، و(أفعَلَ) قد لا تكون للتعدية كما في (أساء) و(أحسن)، وصيغةُ (فُعِلَ) قد تكون لغير المجهول كما في (جُنّ) و(ذُهِل)، الخ.

وكذلك لم يُثِرْ أسلافنا مثل هذه المشكلة عندما ترجموا علوم اليونان والهند. فلم تقف السوابق واللواحق اللاتينية واليونانية مثلا عقبة أمامهم في طريق التعريب، ولم يَشْغَلوا أنفسهم يوما ما باختراع سابقة أو لاحقة تُلصق باللفظة العربية مقابل كل لفظة لاتينية فيها سابقة أو لاحقة، كل ذلك من أجل تكلف ترجمة اللفظة الواحدة بلفظة واحدة.

غيرَ أن جهودا كبيرة صارت تضيَّع اليومَ عبثاً في هذا السبيل. ومن أمثلة ذلك المحاولات العقيمة التي بدأت منذ بضعة وأربعين عاما لاختيار وزن أو صيغة عربية بلفظة واحدة للألفاظ المنتهية باللاحقة able- (أو ible- أو ble-) على غرار Breakable. ولقد كان جدل وخلاف طويل شارك فيه علماءُ وهيئاتٌ ومجامعُ علمية ولغوية. ومما اقتُرح لتلك اللاحقة اليتيمة، في أوقات مختلفة، ان تُستعمَل صيغةُ (الفعل المضارع) لمعنى اللازم أو لمعنى مُوقِع الفعل، وصيغة (المضارع المبني للمجهول) للواقع عليه الفعل، ووزن (فعيل)، و(فعول)، و(مستفعِل)، و(مُفعِل)، والخلاف لما ينته بعدُ. غير أن نظرة سريعة إلى أيٍّ من هذه الأقيسة يمكن أن تُظهِر بطلانها وتهافتها. فقد يصحّ في صيغة (المضارع) أن يقال مثلا (هذه المواد تنضغط) Compressible و(تلك حال تتغير) Changeable و(فاكهة تؤكل) Edible، لأنه قد يُفهم من كل ذلك معنى (الثبوت) المراد بهذه الألفاظ. ولكنّ المضارع قد لا يُفهم منه دائما هذا المعنى وانما قد يراد به أيضا معنى (الحدوث) لأنه يقترن بزمان يحتمل الحال أو الاستقبال كما يعرفه النحاة. ومن هنا قد لا يحسُن مثلا أن يقال (هذا الرجل يطّلع) مقابل Knowledgeable إذ قد يُفهم من ذلك أنه (يطّلع الآن) بدلا من (واسع الاطلاع). ولا أن يقال (هذه المادة تضاف) مقابل Addible فقد يُفهم من ذلك (يجب أن تضاف) Is to be added بدلا من (ممكنة الاضافة)، وفي كل ذلك مدعاة للَّبْس. ولئن صحّ في وزن (فعيل) أن يقال (ماء شريب) Drinkable وهو مسموع، فلا يحسُن أن يقال (شخص فهيم) مقابل Comprehensible لأن (الفهيم) صاحبُ الفهم والمرادُ (مفهوم). وقد يصحّ في وزن (فعول) أن يقال أيضا (ماء شروب) Drinkableوهو مسموع، ولكن لا يحسُن أن يقال (سمك أكول) مقابل Edible لأن الأكول (الكثير الأكل) والمراد (الصالح للأكل). ويمكن في وزن (مُفعِل) أن يقال (هذا كرسي مريح) Comfortable ولكنه يتهافت في مقابل I am comfortable فلا يصحّ فيه (مريح) وإنما يقال (أنا مرتاح). ويمكن في زنة (مستفعِل) أن يقال (مستقيد) مقابل Manageable وهو مسموع من استقاد له أي انقاد وخضع، ولكن لا يصحّ أن يقال (مستطلع) مقابل Knowledgeable لأن المستطلع هو (الذي يسأل عن الأمر أو يطلب الرأي) والمرادُ هنا (الواسع الاطلاع).

ولكن لِمَ كُلُّ هذا التكلف والتعسف وكثير من هذه المكسوعات يترجم بلفظ واحد بحسب طبيعة معناه مثل Suitable (لائق) وPeaceable (مُسالَم) وAudible (مسموع) وAcceptable (مقبول)

و Placable (متسامح) و Terrible (مخيف) و Soluble (ذائب) و Comfortable (مرتاح) أو (مريح) بحسب المعنى، و Sensible (حسّاس) أو (محسوس) كذلك، و Changeable (متقلب) و Comprehensible (مفهوم) و Bearable (يُطاق) و Edible (يؤكل)، وغير ذلك. فإن لم يَكْفِ لفظ واحد فلفظان. وقد اتبع أسلافنا ذلك فقالوا (قابل للضغط) Compressible و(جدير بالاحترام) Respectable و (صالح للشرب) Potable و(واسع الاطلاع) Knowledgeable و(سهل المنال) Accessible و(كثير الدوران) Voluble و(محب للاحسان) Charitable و(يستحق العبادة) Adorable و(واجب التنفيذ) Executable و(سريع التهيج) Excitable و(خاضع للضريبة) Dutable [5]. وهم لم يجدوا في ذلك ضيرا. كما لم يجد الانكليز ضيرا في ترجمة صيغة اسم المكان التي هي من خصائص لغتنا أيضا بلفظين، فنقول (مَرْسَم) و(مَسْبَح) و(مَجْزَر) ويقولون Drawing office و Swimming pool و Slaughter house، ولا يقف ذلك حجر عثر في طريق العلم.

فحوى القول أننا لسنا بحاجة إلى التزام صيغة أو وزن معين لترجمة كل لفظة أجنبية مؤلفة من جذر وسابقة أو لاحقة. ولو أننا تذكرنا ما عليه كثير من المشتغلين في العلوم من قلة البضاعة في اللغة العربية وفقهها لأدركنا فداحة الأخطاء التي قد تنجم عن التزام مثل هذه الأقيسة في ترجمة الألفاظ والمصطلحات.

وأفدح من ذلك أن نتكلف اختيار مقابل عربي معين لكل سابقة أو لاحقة أجنبية ثم نُلصقه إلصاقا باللفظ العربي، فهو ليس من طبيعة نقل اللغات، كما اتضح من صعوبة نقل حروف الزيادة العربية إلى اللغات الأوربية، فضلا عن أن كل سابقة أو لاحقة من هذه الملصقات الأجنبية التي تعدّ بالمئات قد يكون له معان كثيرة كما اتضح من مثال اللاحقة التي ذكرنا.

لا نستعمل ألفاظا نصفها عربي ونصفها الآخر أعجمي :

وتجدر الاشارة هنا إلى أن بعضهم يذهب أبعد من ذلك كثيرا فيُصرّ من فرط انبهاره بلغة أجنبية على إلصاق اللاحقة اللاتينية أو اليونانية كما هي باللفظ العربي، وفي ذلك ما فيه من مسخ للغتنا الجميلة وطمس لهُويتها. فمن أمثلة ذلك أنه ظهرت حاجة في اللغات الأوربية خلال النصف الأول من هذا القرن إلى تسمية وَحَدات وجسيمات من أشياء متناهية في الصغر في الفيزياء النووية، فَعَمَدوا إلى استعمال اللاحقة اليونانية on- التي اصطلحوا بها للدلالة على معنى (الوَحَدة الأصغرية أو الجُسَيم الابتدائي) من الشيء وإن كان أصل معناها (الذّهاب)، فألصقوها بالجذور اللاتينية أو اليونانية الدالّة على تلك الأشياء للحصول على مصطلحات مثل Phonon و Photon و Electron (وهذه كانت قد ظهرت في أواخر القَرن الماضي) و Nucleon و Neutron و Proton، وغيرها. ومعاني جذور هذه الأشياء على التوالي، (صوت) و(ضوء) و(كهرب) و(نواة) و(متعادل) و(أول ـــ أو ابتدائي) [6]. ولقد كانت

---

(5) انظر: الملائكة، الدكتور جميل - «في ترجمة المكسوعات بـ able- و ible- ومحاذير القياس»، مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزءان الثالث والرابع، المجلد الثاني والثلاثون، ص ١٦٧ - ١٨٥، بغداد، تشرين الأول ١٩٨١

(6) انظر:

Webster's Ninth New Collegiate Dictionary, Merriam Webster Inc., Publisher, Springfield, Mass. U.S.A., 1983.

حصيلةُ إصرار هؤلاء على إبقاء اللاحقة الأجنبية وترجمة الجذر إلى العربية المصطلحاتِ الغربيةَ (صوتون) و(ضوؤون) و(كهربون) و(نَوَوُون) و(ابتدائيون) و(متعادلون)، الخ. وهم لتشبثهم بهذه اللاحقة الأجنبية وشدة إعجابهم بها يحتجون بأن أهل الاندلس ألحقوا الواو والنون ببعض الأسماء على غرار (حمدون) و(زيدون) للتحبب وهو يشبه التصغير. ولكن كيف توحي ألفاظ (ضوؤون) و(كهربون) و(متعادلون) بمعنى التناهي في الصغر وأظهر ما في هذه الواو والنون معنى الجمع الذي يكاد يناقض دلالة التصغير ؟ ولم كل هذا التمسك باللاحقة الأجنبية والانقياد لخصوصيات لغة غريبة عن لغتنا وافتعالِ الحُجَج لها مهما كانت واهية ؟ أليس أسهل وأقلّ امتهانا للعربية وتشويها لصفائها أن نستعمل صيغة التصغير العربية فنقول مثلا (صُوَيْتَة) و(ضُوَيْئة) و(كُهَيرِبة) و(نُوَيَّة) و(بُديئة) و(معيدِلة)، الخ ؟ وماذا سيكون مصير العربية العلمية لو أن جُلّ أسمائها يصبح على غرار (صَوْتيم) و(صَوتيك) و(صَوْتون) و(صَوْتولايت)، و(كهربود) و(كهربون) و(كهربوم) و(كهربولايت) و(كهربوليسس) لتقابل مصطلحات Phoneme و Phonics و Phonon و Phonolite (وهو صخر بركاني له رنين عند دقّه)، و Electrode و Electron و Electram (وهو سبيكة من الذهب والفضة) و Electrolyte و Electrolysis، الخ ؟

لعله أفضلُ أن يبقى استعمال بعض هذه المصطلحات الأجنبية إذا استعصت ترجمتها على المشتغل بالعلوم إلى حين وجدان مقابلات لها عربية، من أن نحولها إلى ألفاظ نصفها عربي ونصفها أعجمي.

المصطلح يوضع لأدنى علاقة بالمعنى :

ولكن لا ننس أن المصطلح يوضع لأدنى ملابسة بالمعنى. وحتى هذه المصطلحاتُ الأجنبية نفسها ليست دلالتُها اللغوية البسيطة بمؤدية معانيها العلمية الدقيقة. لولا أنها اصطلح بها لهذه الأغراض. ومن ثم فليس من الصعب إطلاقا الاصطلاحُ بمقابلات عربية لها، من دون الانقياد لشكل تركيبها، إذا استعان المشتغل بالعلوم أهلَ اللغة في ذلك.

أما الادعاء بأن أكثر المصطلحات الأجنبية يؤدي من المعاني الدقيقة ما لا تؤديه الألفاظ العربية فهو كلام لا يصدُرُ إلا عن غير متضلع في اللغة الأجنبية ولا عارف بدقائق اللغة العربية.

ضرورة الحدّ من شيوع الألفاظ الأعجمية :

ويُفضي بنا هذا الكلام أخيرا إلى ضرورة العمل على الحدّ من تكاثر شيوع الألفاظ الأعجمية على غرار (الراديو) و(التلفون) و(البندول) و(الفرامل) و(الايسوتوب) و(اهيليكوبتر) و(الكمبيوتر)، التي يُصِرّ على بقائها بعض المبهورين باللغات الأجنبية متذرعين بمختلف الحُجَج مثل دقة دلالة اللفظ الأجنبي في حين أنّ دقة الدلالة لا تأتي إلّا بعد التواضع والاصطلاح على المعنى، أو بعالَميّة المصطلح وليس الأمر كذلك في أي من هذه الألفاظ أو أشباهها، أو بصعوبة المقابلات العربية المقترحة لهذه الألفاظ وغرابتها مع أن المصطلح لا يبدو صعبا أو غريبا إذا شاع استعماله وتداولته الألسنة.